أما آن لهذا العلم أن يدفن؟

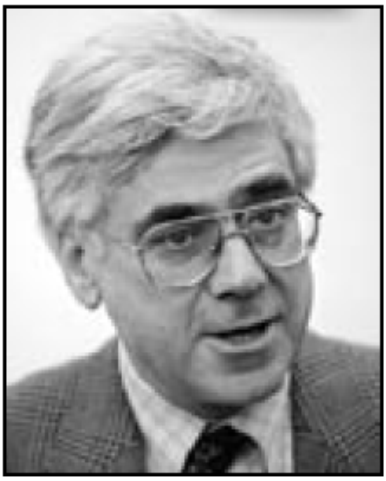

بقلم: د. سري نسيبة

في زمن تصبح فيه القضية مطوة لسفك الدماء ومدخل للتناحر على الحق الآيل للذوبان والاختفاء، وتطميس الآمال الوطنية والأحلام بأيدي الراشدين والقيادات والمسؤولين المتسلحين بالمناصب والبنادق والسطوة، حينها يتساءل المواطن أما آن لهذا العلم المسكين أن يوارى التراب، لعل الإنسان يستطيع ثانية استنشاق الهواء؟

مسكين أنت أيها الشعب، مسكينة أنت أيتها الطفلة التائهة في أزقة جباليا وجنين والمية مية وحارة السعدية في القدس العتيقة، تلك القدس التي تتآكل ضواحيها يوماً بعد يوم، متهمشة متبعثرة متقوقعة بينما تنمو بين ظهرانيها ومن حواليها مدينة الاغراب، لا تستحلها فحسب، بل تحل محلها، بينما يتساقط الفلسطيني بنيران ابن جلدته الفلسطيني، في غزة، وفي رام الله، ويتصارع هذا وذاك على كرسي تالف، مهترئ، باسمك أيتها الطفلة الناظرة الى المستقبل، المنتظرة انقشاع الغيوم المتلبدة، تلهث وراء حلم صغير متواضع تتلهف لتحقيقه، لا يتطاول على حل أحد آخر، بل يعكس حلم كل قلب نابض بالطبيعة البريئة، بأن تحيا حرةً كريمة، تحضنها ابتسامات والديها واخوانها وأصدقائها، ومجتمع يوليها الحب والاحترام، والاهتمام بها، بنموها، وصحتها وعلمها ومستقبلها.

ما ذنبك أيتها الطفلة المسكينة أن تتحطم من حولك كافة الجدران الاستنادية لتحقيق حلمك في ظل دولة حرة مستقلة؟ وما الذي بقي يدعوك لأن ترفعي علماً يجسّد حلم الدولة التي وعدك آباؤك بها؟ وأنت الآن ترين هذا العلم قد أضحى رمزاً للتسلط وللمصلحة الشخصية أو الحزبية، وتبريراً للقمع والإرهاب الأمني، بل ترين هذه المظاهر والسلوكيات البغيضة في نمو وتصاعد، بينما تتوارى القضية نفسها، أرضاً وحقاً وعزةً، في التراب بوصة بوصة.

أغضب من نفسي، ليس منك يا ابنتي ان قلت لي «أبتاه، أما كان لهذا العلم أن يُدفن، فيرفع الإنسان رأسه الى السماء؟